الرُّتَب الكهنوتيّة

في

الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم المثوري اسحق ارملة السرياني

٣

٣ً طقس رسامة الرسالي

الرتبة الثالثة والاخيرة من الرتب الصغيرة رتبة الرسالي ويقال له ܫܘܫܦܵܢܵܐ هفوذياقن بلفظ يوناني . وسماه المجمع اللبناني شدياقاً . غير ان السيد يوسف دريان اثبت (ص ٧٩) ان استعمال لفظ الشدياق في الطقس الماروني غلط . ولما كان الرسالي ، على ما صرّح المجمع اللبناني (٣١١ و٣١٢) ، لم يزل يُحتسب عند الموارنة (وعند السريان ايضاً) في عداد اصحاب الدرجات الصغار ، كان لذلك غير مكلّف بتلاوة الفرض وحفظ التبتّل كما يكلّف الشمامس والقس . . . وله حقّ الاتّشاح بالبطرشيل . ويلزمه ان يبرز في ديوان الامتحان صكّ رسامته قارئاً وشهادة عماده الخ . ويجب ان يكون بالغاً السنّ الثامنة عشرة عند السريان ، والرابعة عشرة عند الموارنة ، خبيراً بالطقس والالحان البيعيّة ، مدركاً من اللغة السريانية ما به الكفاية . وقد ذكر ابن العبري في كتاب الهدى (ص ١٠٢) ان الرسالي يلزمه ان يتعلّم مزامير داود كلّها ظاهراً .

واذا حان وقت الرتبة ، لزم المنتخَب ان ينتصب داخل باب المذبح لابساً ثوب القارئ ، اعني القميص ، والبطرشيل ، مكشوف الراس منحنياً ومتكتفاً ، ريثما ينتهي الحبر من القداس الى الرفعة . وبعد هذا يغطّي الاسرار بالكيفور

ويبسل اناءه ويلبس التاج ويمسك العكاز الخ . ويبدأ بالرتبة كما ذكرنا آنفاً[1] حتى ينادي الشماس الماروني: «فلنقف حسناً» الخ . ويصلي الحبر : « استمع يا رب صلواتنا برحمتك » الخ . ويقولون التقاديس الثلاثة وقانون الايمان على ان هذه المناداة وما يتبعها لا ذكر لها في المجمع اللبناني (ص ٢٦٤) ولا اثر لها في بعض نسخ الطقس الماروني كما اثبت السيد يوسف دريان (ص ٧٩).

اما المجمع اللبناني فقال (ص ٢٦٤) حين يرسم الشدياق يتوشح بدرع القارئية ويقبل يد الاسقف الجالس امام المذبح قائلاً : بارخمور. فيسمه الاسقف في جبهته ثلاثاً قائلاً :«ليباركك الرب الاله في عداد شدائقة كنيسة القديس فلان» الخ. ثم يتلو صلاة الفاتحة والشماس يرتل : فلنقف حسناً الخ . ورئيس الشمامسة يقود المنتخب الى الاسقف قائلاً: نقدم لقداستك الخ . فيأمره الاسقف فيجثو على يسرى ركبتيه ، كما يجثو المنتخب في الطقس السرياني . ثم ان الحبر الماروني يضع يمينه على صدغي المنتخب قائلاً : لهمحمل ممحمل النعمة الالهية[2] الخ . ويمدّ بيديه على هامة المنتخب ويقول سراً ، كالحبر السرياني : «اجل يارب اجعله مستحقاً لهذه دعوة الرسالية» الخ . ويجهر: «لانك الاله رحيم» الخ . ثم يبتهل سراً: «اللهم ربّ القوات المقدسة السمائية» الخ . اما الحبر السرياني

---

١) اضرب المجمع اللبناني عن ذكر مقدمات الرسامة الى الحاي ، والايات الاربعة ، والطركمادة السريان والموارنة (دريان ٩٦) مع انه ذكر ذلك في رسامة المرتل . (ص ٢٦٣) ويستخلص من ذلك انه ما اضرب عن ذكره الا لكونه معلوماً ومفهوماً .

٢) ذكرنا آنفاً ان لا اثر لهذه الدعوة في رسامة القارئ ولا في رسامة الرسالي . ونضيف الى ذلك ما اورده السيد يوسف دريان (ص ٣١ و ٣٦ و ٤٤) قال : ان هذه الدعوة ليست الصورة الجوهرية كما يظن غير واحد من الموارنة لانها ليست انشائية او ابتهالية بل اخبارية . . . ومما يزيد ذلك اثباتاً استعمال كنيسة السريان الكاثوليك في الحال ، فانها قد اشتركنا معهم مراراً في رسامة بعض اساقفتهم في دير الشرفة بكسروان وقد نبّه خاطرنا جداً ما اجروه عند بلوغهم الى هذه المقالة نفسها فان احد الشمامسة (الاساقفة ؟) قد تلاها علناً على الشعب عند باب المذبح كسائر الكرازات . فلو كانت هذه المقالة هي الصورة الجوهرية للرسامة للزم عن كلّ ما تقدم انها لم تكن تتمّ عندنا قبل عهد العلّامة الدويهي وهي الى الآن لا تتمّ عند السريان ، وهذا محال كما لا يخفى . اما الدويهي فقال (ص ٢٣٧) ان هذه المقالة . . . هي بدل الصورة تتسمّى في الكتب الالهيّة اوقاتاً صلاة واوقاتاً بركة .

فيتلو هذه الصلاة بعدما يقرأ المنتخَب قراءة أشعيا (٤٤ : ٤ ــ ٧ و ٥٩ : ٢١ و ٦١ : ١ ــ ٣) . على ان السيد دريان قال (ص ٢١) : ان العلّامة الدويهي وضع هذا الابتهال قبل مقالة التقديم خلافاً لوضعها القديم.

ثم يلتفت الحبر في كلا الطقسين نحو المذبح ويضمّ اصابع يديه كلتيهما كالحلقة ما عدا الابهامين حول الطبق فالكاس ، ثم يتّجه هكذا فيمسك باصابعه عينها صدغي المنتخَب ويصلّي سرّاً : «ايها الاله الابدي ماسح الملوك ومقدّس الانبياء» الخ . ويتّجه نحو المذبح ويجهر : «واغرسه كالزيتونة الغزيرة الثمار» الخ. ثم يقول : السلام لجميعكم . ويقول الشعب : ولروحك. وعندما يصلّي الحبر هذه الصلاة سرّاً ينشد الشمّاس السرياني وحده او الشمامسة الموارنة جميعاً قورياليسون.

ثم يصلّي الحبر الماروني سرّاً : «اللهمّ يامن منح الكهنوت لسبط لاوي» الخ. ويلتفت الى المذبح ويجهر : «ونؤدّي التسبيح والشكر» الخ . وينادي رئيس الشمامسة : «لنقف كلّنا بالصلاة» الخ. ويضع الحبر الماروني عينه يده على الاسرار فعلى هامة[1] المنتخَب ويقول سرّاً : «ايها الرب الاله الحنون العطوف» الخ. ويتّجه نحو المذبح ويقول جهراً : «بنعمة ورحمة ومحبة» الخ. وبعد هذا كله يصلّي سرّاً كالحبر السرياني : «انظر الينا يا ربّ والى خدمتنا ونقّنا من جميع الادران» الخ . ويجهر : «لانك الاله الراغب في الرحمة» الخ.

وبعد هذا يُنهض الحبر في كلا الطقسين المنتخَب عن الارض ، ويضع يمينه على جبهته لا على هامته[2] ، ويعلن في السريانيّة لا في العربية : الماصحمس اي : ارتقى في نعمة الله المقدّسة فلان[3] الخ . فيقول رئيس الشمامسة : «فلان هفوذياقوناً لمذبح الكنيسة الفلانيّة» الخ. فيستلي الحبر : فلان الهفوذياقون في الكنيسة الارثذكسية المقدسة التي سبقت فاشتهرت . بسم الآب ✠ فيقول

---

١) لا يضع الحبر يده الّا على هامة من يترقّى الى الرتب الكبيرة كما ألمحنا.

٢) لا يحلّ للحبر في رسامة الرسالي ان يضع يمينه على هامة المنتخَب ، بل ينبغي ان يسم جبهته باجامه شكل صليب ثلاثاً (المنتخبات للسيد اغناطيوس افرام رحماني (٣ : ٢٩) .

٣) المجمع اللبناني ايضاً : ٢٦٥ ، والسيد دريان : ٨٦

الشعب : آمين . والابن ✠ آمين ، والروح ✠ القدس للحياة الابدية »[1] . وعد ذكره اسم كلّ من الاقانيم المقدسة يدم المنتخَب بالصليب او بابهامه ثلاثة صلبان في جبهته . ثم يلبسه حواره قائلاً بالسريانيّة : لمجد واكرام وتبجيل وتعظيم الخ ويجاوبه الاكليرس بالمثل . وفي ذلك كلّه يتّفق الطقسان اتمّ الاتفاق . غير ان العلّامة الدويهي اكتفى بقوله ان الحبر يوشّح المنتخَب بالهرّار على رقبته ولم يزد . كأن لبس الهرّار معروف لا يحتاج الى تنبيه . ذلك بان يضمه الحبر على كتف المرسوم اليسرى من ناحية صدره ثم يديره على ظهره ويلقه تحت إبطه اليمنى وعلى صدره ويلقيه اخيراً على كتفه اليسرى من ناحية ظهره . وبعد هذا يتلو صلاة الشكر سرًّا : «نقبل نعمتك ايها الرب الضابط الكلّ» الخ. ثم يجهر : «ويجد امانك برحمة» الخ. ويدفع اليه شمعة مضيئة ويقول بالسريانية آية داود النبي : انا كالزيتونة المجيدة[2] الخ . ويردف المرسوم قائلاً الآية عينها . ثم يقبّل المذبح ويعين الحبر ويحيّيه المؤمنون . وبعد ان يتناول الحبر القربان المقدس يناول المرسوم ويختم القدّاس.

اما الطقس الماروني فبعد صلاة الشكر وتسليم المرسوم مصباحاً مضاء ، تقرّر ان يطاف به في الكنيسة بالمعانيث ثلاث دفعات كما يُطاف بالمرتّل والقارئ . وعند وصوله الى محلّ القنديل يطفئه ويضيئه ثلاثاً . وعند بلوغه الى باب الكنيسة يغلقه ويفتحه ثلاثاً . وينشد رئيس الشمامسة : ؤهدهدهدهد ؤهدهدهدهد الخ . وفي الطواف الثالث يصكّ الناقوس ، ثم يقرأ من اعمال الرسل (٢ ١٦ — ٤٧) . وينادي رئيس الشمامسة : لنقف كلّنا بالصلاة الخ. ويختم الحبر : «يا الاه الالهة وربّ الارباب» الخ. وهذا كلّه لا اثر له في الطقس السرياني كما اشرنا . ويظهر ان احبار الموارنة اضافوه مع تنادي الزمار ازديادًا لرونق الرتبة.

ومن حقوق الرسالي وفروضه ان يخدم في الكنيسة كالوافه ، فيضيء

---

١) قال السيّد دريان (ص٨٤) : ان الشرطونيّة القديمة عند الموارنة تتّفق اتفاقاً تامًّا في تلاوة الماهنب بالتناوب ما بين الحبر والارشدياكن . كالطقس السرياني.

٢) يقول الحبر والمرسوم معاً . دريان ٨٤ في الطقس الماروني.

القناديل ، ويحرس الابواب[1] ، ويكنس الكنيسة ويقرع الجرس داعياً الى الصلاة . ويمسح الاواني المقدّسة وينشفها ويضعها على المذبح . ويقرأ اعمال الرسل والرسائل القانونية وسير الشهداء . ويجمع القرابين ويصبّ الماء على ايدي الكهنة والاحبار . ويخرج الموعوظين من الكنيسة بعد قراءة الانجيل[2]. وله كما قلنا ان يمسك شمعة مضيئة في القدّاس والدورة[3] . ولا يحق له ان يقرأ من رسائل مار بولس ولا يلتزم بنذر العفّة . والخلاصة ان رتبته في كلا الطقسين السريانيّين تُحسَب من الرتب الصغيرة لا الكبيرة[4].

٤ً طقس سيامية[5] الشمّاس اي الدياقن

اول الرتب الكبيرة المقدّسة في الطقسين رتبة الشمّاس . والشمّاس مَمْمَصْمَا او مَمْمُصْمُا لفظ سرياني بحتٌ يُطلَق على خادم الاسرار المقدّسة. ولا يرقّى لهذه الرتبة الّا من بلغ الحادية والعشرين على ما نصّ المجمع اللبناني (٢٥٧) ، او الثانية والعشرين على ما حدّد مجمع الشرفة (١٦٣).

ويُفرَض على الشمّاس ان يتلو الصلوات القانونيّة في الخورس او على انفراد ومن حقوقه ان يجهّز أواني القدّاس ويضع فيها الخبز والخمر وينشّفها . وينبّه المؤمنين ومَن تحت مرتبته من خدمة الاسرار الى الوقوف والجثو والصمت والترنيم في الكنيسة . وان يقرأ رسائل مار بولس لا الانجيل . وان يبخّر ويلوّح بالمروحة . ويطلق لحيته . وله كذلك باذن الاسقف ان يلقي الوعظ في الكنيسة ويعمّد ويناول . ولكن لا يباح له ان يمنح سرّ التثبيت. وليس

---

١) الهدى لابن البريّ (ص ١٠٣).

٢) المقتطفات ٣٦:٣.

٣) مجمع الشرفة ١٦٢

٤) الدوحيّ : ١٩١ ، والمجمع اللبناني : ٢٥٥ ، ومجمع الشرفة : ١٦٢ ، والسدّ دربان : ٧٨.

٥) السيامية هُمُدُوا سرياني يراد به وضع يد المبر على هامة من يتقبّل الرتب المقدسة . وتستفد ان لفظ « سيامة » في استعمال العامّة تحريف سيامية.

له كذلك ان يبدأ بالصلاة العمومية الّا في غياب القسّ ، كما انه لا يرخص له ان يجلس وقت الصلاة ، الّم يأذن له الحبر او القس في ذلك [1] . ومتى ارتقى الشمّاس الى هذه الرتبة المقدّسة حُرّج عليه عقد الزواج بتاتاً.

اما طقس سيامته الشمّاس فيجب اوّل بدء ان يتردّى المنتخَب بالقميص وبطرشيل الرسالي ، وينتصب واقفاً في الخورس من بدء القدّاس الى الرفعة . وحين ذاك يجلس الحبر في الطقسين على الكرسي ويتلو عليه بعض قوانين وبنود دينيّة تسمّى ܐܣܩܘܠܐ [2] . حتى اذا انتهى من قراءتها استدعى المنتخَب ليرسم صلياً على الكتاب ويثبت اسمه الى جانبه عربوناً لاخلاصه وامانته . ثم يضع الحبر السرياني يمينه على كتف المنتخَب ويدخله الى المذبح قائلاً في السريانيّة : « روح القدس يدعوك لتكون شمّاساً في الكنيسة المقدّسة . » فيجثو حينئذٍ على الركبة اليمين ويتكتّف [3] . ويبدأ الحبر في كلا الطقسين : « اهلنا ايها المسيح الهنا ان تكمّل هذه الخدمة الطاهرة السريّة » الخ. ويردفها بقوله : « زيّن يا ربّ عبدك » الخ. ويترنّم الشمامسة والكهنة بالمزامير والالحان ، وبالابيات المسبّحة بزمور « ارحمني يا الله » . ويرتّل احد القسوس الحاليّ : « انذلك الذي يجود بنعمته » الخ . ثم : « ايها المسيح الهنا مجمّل الخدمة الروحيّة » الخ فاربعة ابيات بلحن ܐܠ ܐܠ . فالمطر : « لوفرة مراحمك » الخ.

ثم ينادي رئيس الشمامسة الماروني منادياً او باعوثاً افرامياً بدوه : ܐܡܪ ܘܣܡܪ ܡܪܢ ܐܠܗ الخ . ويصلّي الحبر : « ايها الاله القدّوس المرتضي بالقديسين » الخ. وقد أضيفت هنا في بعض النسخ المارونيّة التقاديس الثلاثة ، وقانون الايمان ، خلافاً للوضع القديم وللمجمع اللبناني . ثم ان رئيس الشمامسة

---

١) المجمع اللبناني : ٢٦٦ و ٣١٢ و ٣١٣ ؛ ومجمع الشرفة : ١٦٣ و ١٦٤ ؛ وشرطونيات الدوجي : ١٢٤ ؛ والهدى لابن البيري : ٩٥ ؛ والمقتطفات ٣ : ٢٥

٢) الدوجي : ٢١٤ ، وفي بعض الصحف المارونيّة ان قراءة الاموليا تسبق الرتبة الاولى.

٣) ورد في بعض النسخ القديمة ان التكتّف يكون بضمّ الكتفين الى الظهر ، لا الى الصدر.

يقدّم المنتخَب الى الحبر قائلاً : « نقدّم لقداستك » الخ . فيأمره الحبر ان يجثو على الركبة اليمنى ، ويضع يمينه على رأسه ويقول: « النعمة الالهية » الخ. ويقول الشمّاس : « بالسلام الى الربّ نتضرّع » الخ . ويصلّي الحبر سرًّا : « نعم يا رب اجعله اهلاً » الخ . ويجهر : « لانك اله رحيم » الخ . وهذه الصلاة الاخيرة يتلوها الحبر السرياني في رسالة الرسالي .

امّا في الطقس السرياني فبعد صلاة العطر يقرأ الشمّاس كما يقرأ الشمّاس الماروني ايضاً من رسالة بولس الاولى الى طيمثاوس الفصل ١١٦ و ١١٨[1] . اعني (٣ : ٨ ــ ١٥ و ٤ : ٦ ــ ١٠) . ثم يرتّل الحبر السرياني الانجيل من يوحنا (١٢ : ٢٤ ــ ٢٦ و ٣٥ ، و ١٣ : ٣١ ــ ٣٥ ولوقا ١١ : ١٣) ، ويبدأ بالمزمور ١٥٠ يردفه الاكليرس بابيات هيمصل واحنه حمصلاه الخ . ثم يصلّي كلا الحبرَين سرًّا : « ايها الربّ اله القوّات » الخ . ويجهر : « واقبل الشمّاس وكمّل عبدك » الخ .

وههنا يدفع الحبر السرياني عكّازه الى رئيس الشمامسة فيقبّل هذا يمينه ، ويقبض على العكّاز مرفوعاً عن الارض ، وينتصب في باب المذبح من ناحية الجنوب ملتفتاً نحو الشمال وينادي بصوت جهوري : لهمحصلاه وهنهمصه حصيمسل[2] الخ . فيأتي بالمنتخَب كفيلُه الى الحبر ، فيعلن الحبر : هم وهنهل الخ . ويردف رئيس الشمامسة : هلح هحمصمل الخ . ثم يتلو : حصمبه مصه الخ ثم يصلّي الحبر سرًّا : « اقبل برأفتك » الخ . ويجهر : « لكي يستحق بعطفك » الخ .

(للبحث صلة)

---

١) الارقام مطابقة للمخطوطات السريانية القديمة التي تحمي فصول رسائل مار بولس بدءاً من رسالته الى رومية . وهكذا اثبتها المجمع اللبناني (٢٦٦) .

٢) اشرنا الى هذه الكرازة في حاشية علّقناها على لهمحصلاه حصمبه في رسامة الرسالي .